Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يختلسون النظر إليهما، رهبةً وتهيُّباً.. ولهذا ارتد الجيران عنهما وأفسحوا لهما الطريق.. ولعمري هذا هو معنى سلوك (كينو)، وسرّ الحياة الأكبر، فالإرادة والطموح، والتصميم والإقدام، هي مكوّنات جوهر الإنسان وسرّ الحياة، ومن خلال ملامسة جوهر الإنسان والتقرّب من سر الحياة، تنبع قيمة هذه الرواية (اللؤلؤة) وتأتي عظمَة (شتاينبك) الأدبية الشامخة.

والحقُّ أنّ اللؤلؤةَ التي شعّتْ بتلك المعاني الرائعة، كانت، بوصفها أثراً فنيا، تشعُّ بكثير من ألوان الجمال والإتقان الأدبي اللذين حذقهما كاتبُها. ولا شك لدينا أن هذه القصة المثَليَّة التي كان الناس يتداولونها، آنئذٍ، قد انتابها حذف وإثبات على يد صائغها. وأنّ تدبُّراً وتصميماً قد عملا في بنائها، وفي مشاهدها، وفي مكوّناتها الدقيقة، أعني عباراتها وكلماتها، الأمر الذي حقّقَ لها شرْطَ جذْبِ القارئ وإمتاعه. فالكاتب منذ الفصل الأول أرهص بنتيجة جاءت في ختام الرواية. فلدْغُ العقرب الوليدَ أوحى بأنّ أمراً مكْرباً يمكن أن يقع له فيما بعد، وقد وقع فعلاً، إذْ قتلَ برصاصِ أبيه، كما لاحظْنا.

وحين فرحت الأسرة بلقياها (لؤلؤة العالم) أرهص الكاتب بأنّ هذه اللقيا ليست خيراً كلها، فهي ذات وجه آخر، إنها قد تكون نقمة لا نعمة. وقد أنطق الكاتب الزوجة بهذه العبارة، وكان حقاً ما قالت، على الأقل بالنسبة لها بالذات، بوصفها أُمّاً فقدتْ وحيدها (كويوتيتو). وهذا الفقدان هو وجه النقمة في اللؤلؤة، ومن زاوية أخرى فقد أثار فينا (شتاينبك) الشعور بالحذر والترقّب عندما سجّل ما قاله (جوان توماس) لأخيه (كينو) "إنكَ تتحدّى كامل طريقة الحياة، وأنا خائفٌ عليك" وكان خوفُ الأخ على أخيه في محلّه، لأنّ قدراً قاسياً كان ينتظره، وهو قتْلُ وليده بيده في ختام الرواية. إنّ تحدّياً كاملا لطريقة الحياة قد وقع فعلا، عندما أبى (كينو) أن يستكين لحالة الخداع والغش، والفوضى، والعدوان، وفقدان الأمن والسكينة. ولكن الوجه الإيجابي لهذا التحدي يبدو بوضوح إذا دقّق القارئ في هذا التجاوب الذي صنعه (جون شتاينبك) ما بين عباراته في نصف الرواية الأول، وعباراته في نصف الرواية الأخير. وهي عبارات ربّما لم تأتِ قصداً، بل جاءت بفعْل وهْج الموهبة، أو بفعل لا شعور الكاتب الذي يداخل عملية الخلْق. فلنقرأ مثلاً قوله (ص٣٨): "إن تملّكَ البندقية سيمكّن كينو من الاندفاع إلى الأمام". وقوله(ص١٠٣) بعد أنْ حاز (كينو) البندقية وعاد مع زوجه إلى المدينة: "لم تلْقِ عيونهما أيةَ نظرة لا إلى اليمين ولا إلى اليسار ولا إلى الأعلى ولا إلى الأسفل، ولكنهما حدّقا أمامهما مباشرة". إذن الاتجاه نحو الأمام كان اتجاه بطل